لإحالة ودورها في تماسك النص رواية (التبر) للكَوني نموذجا

إعداد

سالم علي حسن

طالب ماجستير قسم اللغه العربية كلية البنات جامعة عين شمس

إشراف

أ.د/ حسني عبد الحكيم الزهار

أستاذ اللغه العربية كلية البنات

جامعة عين شمس

د/ صباح صابر

مدرس الدراسات اللغوية كلية البنات

جامعة عين شمس

ملخص الدراسة

لا شك أن التماسك النصي من أحدث النظريات التي طرحها الدرس اللساني في الوقت المعاصر، ومن اللغو أن أنْشُد في هذه الدراسة فاعلية وقوة أدوات التماسك النصي في نص كـ"رواية التبر" قد حاز قدرا مرموقا من النقاد ورواد الأدب عربا وعجما، وإنما مقصدي من الدراسة أن أقف على الكيفية والطريقة التي وظَّف بها الكَوني هذه الأدوات. وقد وقع اختياري لأداة واحدة من أدوات التماسك النصي، وهي الإحالة؛ إذ لا تسمح طبيعة هذه الدراسة الموجزة باستغراق كل أدوات التماسك النصي في الرواية موضوع الدراسة. وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مسترشدا بدلالة الإحصاء الشامل للبنية الإحالية في الرواية.

وقد وضعت خطة للدراسة جاءت في مقدمة و تمهيد ودراسة تطبيقية فخاتمة تضم أهم نتائج البحث فقائمة للمصادر والمراجع.

- التمهيد: تناولت فيه تعريفا موجزا بالكَوني ورواية "التبر" و استعراضا موجزا لمفهوم النص، ونحو النص.

- الدراسة التطبيقية: الإحالة ودورها في تماسك رواية التبر، وفيه:

- أولا: الإحالة الضميرية
- ثانيا: الإحالة الإشارية
- ثالثا: الإحالة الموصولية

* ملاحظات وإحصاءات

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل...

مقدمة

من المسلمات في الدراسات اللغوية أن ذلك النهج الذي وقف أربابه (زهاء ثلاثة عشر قرنا عند حدود الجملة أو تجاوزوها في إشارات عابرة أحيانا قد أدى ما عليه وآتى أكله كاملا غير منقوص، والزمن وطبيعة اللغة كظاهرة خلّاقة كفيلان باستثارة الهمم للغوص أكثر في هذه الظاهرة البشرية الفريدة (ظاهرة اللغة) في محاولات لاستيعابها ودراستها بشكل أوسع وأشمل. وعلى أية حال ليس من أهداف هذه الدراسة أن تضع نحو الجملة ونحو النص وجها لوجه، وإنما هي محاولة لملامسة ما أضافه هذا العلم المُحْدث (نحو النص) من جديد تطبيقاً على نص أدبي فريد من أدبنا العربي المعاصر وهو رواية **(التبر)** للأديب الليبي **"إبراهيم الكَوني"**. وقد اخترت ظاهرة واحدة من ظواهر التماسك النصي، وهي الإحالة، متبعا في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مسترشدا بدلالة الإحصاء الشامل للبنية الإحالية في الرواية.

دواعي اختيار النص

- تُعَدُّ رواية التبر من أهم ما كتب إبراهيم الكَوني، وبها نال وسام الفروسية الفرنسي من الدرجة الأولى، وترجمت إلى العديد من اللغات الحية منها الفرنسية والألمانية.

- أدب الكوني بصفة عامة لم يحظ بدراسة الروابط النصية (حسب علمي)؛ فكان هذا دافعا لي لخوض التجربة.

خطة البحث

وقد وضعت خطة للدراسة جاءت في مقدمة و تمهيد ودراسة تطبيقية فخاتمة تضم أهم نتائج البحث فقائمة للمصادر والمراجع.

- التمهيد: تناولت فيه تعريفا موجزا بالكَوني ورواية "التبر" و استعراضا موجزا لمفهوم النص، ونحو النص.

- الدراسة التطبيقية: الإحالة ودورها في تماسك رواية التبر، وفيه:

- أولا: الإحالة الضميرية
- ثانيا: الإحالة الإشارية
- ثالثا: الإحالة الموصولية

* ملاحظات وإحصاءات

التمهيد

إبرهيم الكوني

لئن كان الكوني يشتكي غربة كتاباته وعزوف القارئ العربي عنها، فإن تفاصيل حياته (خاصة بداياتها) أيضا لا تقل غرابة وغموضا تماما كغموض صحرائه الاستثنائية بالنسبة للقارئ العربي. فالمصادر التي تناولت سيرة هذا الكاتب نادرة ومقتضبة جدا، وتقتصر على بعض اللقاءات الإذاعية والصحفية التي أجريت مع الكاتب، وبعض الدوريات ومواقع الإنترنت والتي غالبا ما تركز على أعماله دون الغوص في سيرته الذاتية ومراحل حياته. والكوني يعكف الآن على كتابة سيرته الذاتية بعنوان (عَدُوسُ السُّرَى)[١]، عسى أن يرى هذا العمل النور قريبا؛ كي يكون مرجعا مهما و موردا رَوِيّاً لمن أراد أن يتناول شخصية الكوني اجتماعيا أو نفسيا أو تاريخيا.

مولده ونشأته

ولد إبراهيم الكَوْني بَلْكاني في السابع من أغسطس/ عام (١٩٤٨م) في الحمادة الحمراء في الصحراء الكبرى في ليبيا، بالقرب من واحة **"غَدَامِسْ"** الليبية، وقضى السنين العشْر الأول من طفولته في البادية مع أسرته، يجاورون (واحة غدامس) صيفا، ويترحّلون في الصحراء باقي المواسم طلبا للكلأِ. كما كان والده (الكَوْني) أحد زعماء قبائل منطقة **"آزِيرْ"** المنتشرة بين جنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر)[٢].ويذكر "أوفنايت"شقيق إبراهيم أن طفولة إبراهيم في صحراء "تينَغْرَت" جنوب الحمادة الحمراء، وتنقلت عائلته بين أودية "أوال، تْنَاروت، ميمون"[٣]

دخل إبراهيم المدرسة في سن متأخرة نسبيا (في العاشرة من عمره) حيث درس الابتدائية في مدينة "غدامس"، وفي العام (١٩٦٤م) انتقل إلى مدينة "سَبْها" عاصمة "إقليم فزَّان" حيث درس الإعدادية والثانوية. وأكمل دراسته الجامعية والماجستير في العلوم الأدبية في معهد "غوركي العالمي للآدب بموسكو" فتخرج فيه عام (١٩٧٧م)[٤].

١أخبرني أحد أصدقاء الكوني المقربين له بذلك. و عدوس السرى: من الناس والدواب: القوي على السير (للذكر والأنثى)، يقال: هو عدوس السُّرى، وعدوس الليل. (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية القاهري. نشر: دار الشروق الدولية (القاهرة)، ط٤/٢٠٠٤م،ص٥٨٧.

٢ينظر: (دليل المؤلفين العرب الليبيين) وزارة الثقافة والإعلام (ليبيا. نشر: دار الكتب الوطنية (بنغازي- ليبيا)، ط١/١٩٧٧م. ص٢٧٨. ينظر أيضا: (دليل المؤلفين الليبيين) موقع دار الكتب الوطنية (بنغازي- ليبيا) على الشبكة الدولية:http://www.nll.org.ly صفحة إبراهيم الكوني:http://archive.is/oh1NM. و إبراهيم الكوني: تكريم = الغرب، وتجاهل العرب (برنامج زيارة خاصة، قناة الجزيرة الفضائية، تاريخ الحلقة ٢٧/٦،٢٠٠٩م) http://www.aljazeera.net.

٣ ينظر: (أدب الكون في عيون الليبيين): حوار أجراه موقع الجزيرة الإلكتروني حول أدب الكوني بتاريخ (٢٧/١٢،٢٠١٠م) http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2010/12/27. و الأودية المذكورة تقع جميعها في الصحراء الليبية الممتدة من واحدة غدامس إلى واحة غات في أقصى غرب الجنوب الليبي المتاخم للجزائر

٤ينظر: (دليل المؤلفين الليبيين) ص٢٧٨.

الجوائز والأوسمة

حصل الكوني على العديد من الجوائز العالمية والعربية، من أهمها[١]

١. جائزة الدولة السويسرية، عن رواية (نزيف الحجر ١٩٩٥م).

٢. جائزة الدولة في ليبيا، على مجمل الأعمال (١٩٩٦م).

٣.جائزة الدولة السويسرية الاستثنائية الكبرى، على مجمل الأعمال المترجمة إلى الألمانية، (٢٠٠٥م).

٤. وسام الفروسية الفرنسي للفنون والآداب (٢٠٠٦م).

٥.جائزة ملتقى (القاهرة) الدولي الخامس للإبداع الروائي العربي (٢٠١٠م).

مؤلفاته:

أديبنا ذو إنتاج غزير ومتنوع، له ما يربو على سبعين مؤلفا يتداخل فيها الديني بالدنيوي والأنثروبولوجي[٢] بالسوسيوجي[٣] والتاريخي بالفلسفي، ومحور هذا الإنتاج الضخم هو الصحراء، أي: الهاجس المركزي الذي يتحكّم في كل إبداعات الكوني ويسيطر على وجدانه وفكره. وهذا الكم من المؤلفات يدل على امتلاكه ورشة غنية بالقراءات المختلفة والتفكيرات العميقة[٤]. وأكتفي في هذه العجالة بما يلي[٥]:

١. الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص) (١٩٧٤).
٢. خماسية الخسوف (رواية) (١٩٨٩)[٦]:

الجزء الأول: البئر (١٩٨٦م)

الجزء الثاني: الواحة (١٩٨٨م)

الجزء الثالث: أخبار الطوفان الثاني (١٩٨٨م)

الجزء الرابع: نداء الوقواق (١٩٨٨م)

١ينظر: (دليل المؤلفين العرب الليبيين) ص٢٧٨،٢٧٩. و (أوراق ليبية) www.libya2.wordpress.com .

٢الأنثروبولوجيا: علم الإنسان، علم يبحث في أصل الجنس البشري وتاريخ تطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته وعلاقاته وتوزيعه الجغرافي، وفي السلالات البشرية وخصائصها ومميزاتها. (معجم اللغة العربية المعاصرة) أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل)، نشر: عالم الكتاب (القاهرة)، ط١/٢٠٠٨م ج١/١٢٨.

٣السوسيولوجيا: علم يدرس المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية، وظواهرها الاجتماعية.(معجم الغني)، د. عبد الغني أبو العزم. نسخة إلكترونية من إعداد وتنسيق: أ. فوّاز الزكارنة. مارس/ ٢٠١٣م. مادة (س و س).

٤ينظر: (المنجز الأدبي الكبير عند إبراهيم الكوني (مقال)، د. عمارة لخّوص. منابر ثقافية: (ملتقى المثقفين العرب) www.mnaabr.com

٥ ينظر: (بناء الشخصيات في روايات إبراهيم الكوني: رباعية الخسوف، التبر، نزيف الحجر، المجوس، أنموذجا) (رسالة ماجستير) إعداد: عبد الله صالح زبيدة، جامعة الفاتح، كلية الآداب (طرابلس، ليبيا)، العام الجامعي ٢٠٠١،٢٠٠٢م.ص٧،٨

٦الجزء الخامس لم يصدر بعد.

٣. سأسر بأمري لخلاني الفصول (ملحمة روائية) (١٩٩٩م):
الجزء الأول: الشرخ (١٩٩٩م)
الجزء الثاني: البلبال (١٩٩٩م)
الجزء الثالث: برق الخلّب (١٩٩٩م)

٤. بيان في لغة اللاهوت: لغز الطوارق يكشف لغز الفراعنة وسومر (موسوعة البيان) وهي موسوعة ضخمة طبع منها سبعة أجزاء:

الجزء الأول: أوطان الأرباب (٢٠٠١).

الجزء الثاني: أرباب الأوطان (٢٠٠١).

الجزء الثالث: أرباب الأوطان٢٠٠١.

الجزء الرابع: المقدمة في ناموس العقل البدئي (٢٠٠١).

الجزء الخامس: ملحمة المفاهيم (٢٠٠٤).

الجزء السادس: ملحمة المفاهيم (٢٠٠٥).

الجزء السابع: ملحمة المفاهيم (٢٠٠٧)

الجزء الثامن: ملحمة المفاهيم (٢٠٠٧).

<u>رواية التبر ومكانتها من أدب الكوني</u>

"رواية التبر"[١] الصادرة طبعتها الأولى والثانية عن دار الريس للنشر والتوزيع (لندن) عام (١٩٩٠م) والطبعة الثالثة عام (١٩٩٢م) عن دار التنوير للطباعة والنشر (بيروت)[٢] . وترجمت إلى اللغة الألمانية والفرنسية. هي من الروايات الرائدة للأديب الليبي ابراهيم الكوني التي تدور أحداثها في الصحراء الليبية، وتتحدث عن جانب من حياة قبائل الطوارق الأمازيغية، بطلها بعير مهري أبلق نادر الوجود، له سمات لا يتصف بها غيره من الإبل، فصاحبه يصفه بأنه: " أبلق ، رشيق ، ممشوق القوام، نبيل شجاع ، وفيّ .... " وهو بعير نادر الوجود إلى حد أن القبائل تحسد من يملك بعيرا من هذه السلالة، يقول أحدهم : " لا يجب أن يفلت المهري النادر من نوق القبيلة، أنا أرى أن تستأثر نوقنا به، نريد نسلا من السلالة المنقرضة، المهاري البلقاء في إبلنا عمل ستحسدنا عليه القبائل ".

والمهري الأبلق هذا يشارك "أوخيد" في دور البطولة، فهو يسبق صاحبه في البطولة، بل إنه هو الذي كان يقوده إلى تنمية الحدث، وهذا البعير ظهر في الرواية كما يظهر البشر، فيه من الحكمة والصبر والفلسفة الشيء الكثير.

---

١ التبر: فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغا. المعجم الوسيط ص٨١. والمراد في هذه الرواية: فتات الذهب لا غير.
٢وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

ولعل أهم ما يميز (رواية التبر) ويجعلها بكراً في موضوعها "أن كاتبها استطاع أن يحول علاقة بدوي بدابته و تعلقه الشديد بها إلى موقف فلسفي، ليس فقط من الموضوعات الاجتماعية المتعارف عليها في بعض المجتمعات العربية البُدائية فحسب، وإنما من الثوابت الإنسانية المتعارف عليها في المجتمعات المتقدمة أيضاً. وأكثر تلك الموضوعات مدعاة للرثاء من وجهة نظر الرواية: المارثون[1] اليومي اللاهث من أجل الفوز بالمرأة و الذرية و المال الذي يجعل من كل مقيم وراء جدار أو كوخ عبداً مريداً أعمى؛ إذ لا يعرف معنى الطمأنينة من كان مكبلاً بقيود الواحات، بالوهق و الدمية و الوهم، بهموم الحياة و دسائس الناس، يعاند بالنهار ويسهر بالليل مهموماً فلا تزداد القيود إلا ضيقاً وشراسة"[2].

مفهوم النص:

بدأ هذا المفهوم في الظهور عام(١٩٧٢م) حين نشر **"فان دايك"** كتابا بعنوان " some aspects of text grammar" اعترض فيه على النحو التقليدي، ودعا إلى اتباع طريقة جديدة في تحليل النص والتعامل معه على أنه بنية كبرى. وفي سنة (١٩٧٦م) ظهر كتاب مشترك **لـ"هاليداي ورقية حسن"** شكل أول دراسة نصية متكاملة بعنوان "cohesion in English"، درسا فيه وسائل الربط مثل: الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والربط المعجمي.

ثم في العام (١٩٧٧م) نشر **"فان دايك"** كتابا بعنوان "text and context" ركز فيه على الظواهر الدلالية والتداولية... إلى أن رسخت نظرية نحو النص على يد الأمريكي **"روبرت دي بوجراند"**، عندما أصدر كتابه "النص والخطاب والإجراء" عام (١٩٨٠م).

وقد اهتم المغاربة بهذا النوع من الدراسة وأسسوا عليه دراسات نصية كما في "دينامية النص تنظير وإنجاز لـ **"محمد مفتاح"** سنة (١٩٨٧م)، ومن بعده **"محمد خطابي"**(١٩٩١م) في كتابه "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"، ثم **"الأزهر الزنّاد"** (١٩٩٣م) عبر كتابه الرائع "نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"[3].

وقداحتلتعريفالنصحيزاكبيراعندالمهتمينبلسانياتالنص،وعلىهذافإن مفهومالنصضرورةملحةأحاولتفصيلها،لكنَّالبحثعنمفهوممو حدجامع يعدضربامنالمستحيلوسطهذاالزخممنالتعريفاتالاصطلاحية،فقدذكر أحدالباحثينبعدأنأوردنحوأربعةعشرمفهومالمصطلحالنص،أنهلاتوجدصعوباتتواجهعلمامنالعلوممثلماهيالحال بالنسبةلعلملغةالنص[4].

١ المارثون: السباق. (معجم اللغة العربية المعاصرة) د. أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل). نشر: عالم الكتاب (القاهرة)، ط١/٢٠٠٨م مج٣/٢٠٦٠.

٢ (التبر لإبراهيم الكوني: الوهق والدمية والوهم ... أم المهري الأبلق؟:) د. ميسلون هادي،: دراسة ضمن كتاب الرافد: (يصدر مجانا مع مجلة الرافد التي تصدرها دائر الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة) العدد ٤٧، يونيو/٢٠١٣. ص٤٩،٥٠.

٣ (الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر)، د. محمد حماسة عبد اللطيف. نشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ط١/ ٢٠٠١م، ص٣٧.

٤ ينظر: المرجع السابق، ص١١٣.

لذلكسأحاول عرضبعضالتعريفاتالمختلفةالتيتمكننيمنالاقتراب منمفهومه.

هاليداي ورقية حسن كلمة نص لديهما "تستخدم في علم اللغويات لتشير إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها؛ شريطة أن تكون وحدة متكاملة"[١]. ويذهب **برينكر وآيزنبرج وشتاينتز** وغيرهم إلى أن النص "تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة"[٢].

بينما وضع **دي بوجراند ودريسلر** تعريفا أكثر تحديدا للنص؛ لأنه احتوى على المعايير النصية السبعة التي يجب توافرها فيه، فالنص عندهما حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، إذا تخلف واحد من هذه المعايير، زال عنه هذا الوصف[٣]، وهي: السبك والحبك، والقصد والقبول، والإعلام والمقامية و التناص.

فإذاتوافرتهذهالشروطفينصما، يمكنناحينهاأننطلقعليهنصا، "فالنصليسمجردلغة، ولاهوعبارةعناتصال،ولامجردكتابة،وليسجملامترابطةيراعفيهاالظروفالخارجية.نقولإنهيتكونمنكلتلكالأم وروأكثر"[٤]؛ ولهذاسوفأتبنىماعبَّر به "**صلاحفضل**" عندماقال:"علينـاأننبنيمفهوم النصمنجملةالمقارباتالتي قُدمتلهفيالبحوثالبنيويةوالسيميولوجية[٥]"[٦].

مفهوم نحو النص

يُعدُّ مصطلح (نحو النص) من المصطلحات التي وَضَعَت لنفسها هدفا يتمثل في الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، يشترك معه في تحقيق هذا الهدف بعض المصطلحات التي تُعنى بذلك أيضا، وإن كان مصطلح (نحو النص) يقترب أكثر من تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي. ويرى "فان ديك "Van Dijk أن وظيفة (علم لغة النص) الأولى هي دراسة نحو النص، ويقابله في الإنجليزية مصطلح **(text grammar)**[٧]

١نحو النص، ص٢٢.
٢ (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات)، د. سعيد حسن بحيري. نشر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان (القاهرة)، ط١/١٩٩٧م، ص٢٢.
٣(النص والخطاب والإجراء)، روبرت دي بوجراند. ترجمة: د. تمام حسان. نشر: عالم الكتب(القاهرة)، ط/ ٢٠٠٧م، ص١٠٣.
٤(نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي). د. أحمد عفيفي. نشر: مكتبة زهراء الشرق (القاهرة)، ط١|٢٠٠١م، ص٢٦،٢٧.
٥السميولوجيا: علم يدرس العلامات و دلالاتها سواء أكانت لغوية أم غير لغوية. ينظر: (عصر البنيوية) إديث كريزويل. ترجمة: جابر عصفور. نشر: دار الصباح (الكويت)، ط١/١٩٩٣م، ص ٤٠٩.
٦(بلاغة الخطاب وعلم النص)، د. صلاح فضل. نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، ط١/١٩٩٢م، ص٢٣١.
٧ينظر: (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات) ص٢٢٢.

تعريف نحو النص

عرفه **"جاك ريتشاردز J. Richards "** بأنه: "فرعمنفروععلماللغة،يهتمبدراسة النصوصالمنطوقةوالمكتوبةعلىحدسواء"،مؤكداالكيفيةالتيانتظمتبهاأجزاء هذهالنصوصوارتبطتفيمابينهالتخبرعنالكلّالمفيد. وهو "الدراسةاللغويةللأبنيةالنصية" كمايرى **"دافيدكريستال Crystal" David** ، أما **"نيلز Nils"**فيعرفهبأنه " دراسةالأدواتاللغويةالتيتحققصورالتماسكالنصي (الشكلي والدلالي)،معمراعاةالسياقوخلفيةالمتلقيالمعرفيةبالنص".[١] بينما يحاول **"صبحيإبراهيمالفقي"**مقاربته بشكل أشمل حين يقول: "هوذلكالفرعمنفروععلماللغةالذييهتم بدراسةالنصباعتبارهالوحدةاللغويةالكبرى،وذلكبدراسةجوانبعديدةأهمها الترابط أو التماسك و وسائله وأنواعه، والإحالة المرجعية وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء".[٢]

والذي يتبدّى للباحث أن مصطلح "نحو النص" مستلٌّ من المصطلح العام "علم اللغة النصي/لسانيات النص" بيد أنه يلتصق بالطبيعة الإجرائية لهذا العلم (علم النص) أكثر من الطبيعة التنظيرية، وهو مصطلح مناسب للناحية التطبيقية لنظريات علم اللغة النصي، وفيه استئناس واصطحاب لمصطلح التراث وإعادة تدويره، مع مراعاة الفروق الجوهرية بين المصطلحين طبعا: (نحو النص، ونحو الجملة).

الدراسة التطبيقية

لن أستهلك صفحات هذه العجالة في سرد قضايا و أحكام الضمائر والإشارة والموصولات في النحو العربي؛ فقد لبت كتب التراث هذا الغرض بما فيه كفاء لكل مريد، وإنما سأعرج موجِزا على الإحالة في اللسانيات الحديثة، ومن ثَم أجري تطبيقا لها على مقاطع[٣] من الرواية وأختم الدراسة التطبيقية بالتحليل موظفا دلالة الإحصاء في نهاية الدراسة.

الإحالة

الإحالة في نحو النص هي إحدى وسائل التماسك النصي[٤]، بل هي أجلُّها؛ حتى دعا بعض الباحثين لوضع لوضع نظرية عربية خاصة بالإحالة الضميرية وحدها[٥]، وسأعطي نبذة مختصرة عن الإحالة هنا.

١ينظر: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية). د. صبحي إبراهيم الفقي. نشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة). ط١/ ٢٠٠٠م ج١/٣٥.

٢ينظر: (علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية) ج١/٣٥.

٣ المقطع ((sequence: الوحدة اللغوية التي تأتي مباشرة بعد الجملة، و يتكون على الأقل من ثلاث جمل. ينظر: (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) د. سعيد علّوش. نشر: دار الكتاب اللبناني (بيروت)، شوسبريس (الدار البيضاء). ط١/١٩٨٥. ص١٨١.

٤يقسم النصيُّون وسائل الربط النصي إلى قسمين: وسائل تماسك/ اتساق، وهي التي تظهر داخل النص اللغوي منطوقا كان كان أم مكتوبا، وتندرج تحت هذا القسم: الإحالة، والتضام، والتكرار، والاستبدال والحذف، والربط. وسائل انسجام/ التحام، ويندرج تحتها كل ما لا يظهر في الملفوظ كالسببية، والعموم والخصوص، وترتيب الأحداث، ومراعاة المواقف ...إلخ. ينظر: (نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص١٠٣.

٥ من أولئك الباحثين أ. د ميلود نزار في بحث قيم له بعنوان: (نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية، دراسة تأصيلية تداولية). نشر: مجلة علوم إنسانية (الجزائر)، عدد٤٢، يونيو/٢٠٠٩م، السنة السابعة.

تعريف الإحالة

صاغ علماء النص عربا وعجما عدة تعريفات لتحديد هذه الظاهرة، لكنها في مجملها لا تخرج عن ما قاله**"ميرفيMurphy "** وأرى أن عبارته هي الأشمل، فقد حدّها بقوله: **"هي تركيب لغوي يشير إلى ما ذُكر صراحة أو ضمنا في النص الذي سبقه أو الذي يليه"**[١]. وذلك بأن يعتمد عنصر معين في النص على عنصر آخر؛ فالأول يفترض الثاني؛ حيث إننا لا يمكننا فك شفرته بنجاح إلا بالعود إلى الثاني؛ لأن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويلُ؛ إذ لابد من العود إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[٢]؛ حتى يتم اتساق النص؛ وذلك لأنها عناصر لا تمتلك دلالة مستقلة، فشرط وجودها هو النص من جهة ومعرفة ما تشير إليه من جهة أخرى؛ كونها رابط إضافي لا يطابقه أي رابط بنيوي[٣].

أقسام الإحالة

تنقسم الإحالة من حيث العموم قسمين رئيسين:

١- إحالة داخل النص، وتسمى بالإحالة النصية. وهي تنقسم بدورها إلى:

أ- إحالة على السابق أو إحالة بالعودة وتسمى **قبلية**، وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دورانا في الكلام.

ب- إحالة على اللاحق، وتسمى **بعدية**، وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها.

٢- إحالة خارج النص، وتسمى بالإحالة المقامية، حيث يحيل العنصر الإحالي إلى عنصر إشاري خارج النص، فالعنصر الإشاري غير موجود في النص، وإنما خارجه[٤]، وأطلق دي بوجراند على هذا النوع: **الإحالة لغير مذكور[٥].**

كما تنقسم من حيث قرب المرجع الإشاري وبعده من العنصر المحيل إلى إحالة قريبة المدى، وإحالة بعيدة المدى[٦].

عناصر الإحالة

تنقسم العناصر اللغوية من حيث وظيفتها إلى قسمين:

العنصر الإحالي (العائد): هو كل مكوَّن يحتاج إلى مكوِّن آخر يفسره.

١ينظر: (تحليل الخطاب)، ج. ب. براون. ج. يول. ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي، د. منير التريكي. **نشر:** جامعة الملك محمد بن سعود (الرياض)، ط١/١٩٩٧م. ص ٣٦.

٢ ينظر: (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي. نشر: المركز الثقافي العربي (بيروت). ط١/١٩٩١م، ص١٨،١٧.

٣ ينظر: (نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، ص١١٨.

٤ ينظر: (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص١٧.

٥ (النص والخطاب والإجراء) ص٣٣٢.

٦ ينظر: (الإحالة في نحو النص) أحمد عفيفي. منشورات كتب عربية على الشبكة الدولية: www.kotobarabia.com. www.kotobarabia.com. ص٥٤، ٥٥.

العنصر الإشاري (المرجِعُ): هو كل مكوَّن لا يحتاج إلى مكوّن آخر يفسره، وقد يكون عنصراً **معجمياً**: كلمة تدل على ذات أو حدث في ذاتها، أو **نصيّا**: مضمون يُفهَمُ من مقطع نصي أو نص كامل[١].

السلميّة الإحالية Hierarchy

وتعني أن بين العناصر الإشارية في النص سلميةً (تراتب هرمي) تضبط درجاتها اعتمادا على كثافة العناصر الإحالية التي تعود عليها أو قلّتها، فكلما كان العنصر الإشاري في النص ذا أهمية أكبر كان عود العناصر المحيلة عليه بشكل أكبر والعكس صحيح. فالبطل في الرواية مثلا يحكم أكبر عدد من العناصر الإحالية، بينما تحكم الشُّخُوصُ الأخرى والأماكن عناصرَ إحاليةً بشكل أقل[٢].

أولا: الإحالة الضميرية

مقطع١: "عندما تلقاه هدية من زعيم قبائل آهجَّار، وهو لا يزال مهرا صغيرا، يطيب له أن يفاخر به بين أقرانه في الأمسيات المقمرة، ويتلذذ بمحاورة نفسه في صورة السائل والمجيب "هل سبق لأحدكم أن شاهد مهريًّا أبلق؟!"، ويجيب نفسَه : لا"[٣].

هكذا يبدأ الكوني روايته بإحالتين متتاليتين بعدِيَّتَيْنِ في (تلقاه) كلاهما لا نظفر بما يحيلان عليه على وجه اليقين في هذه الجملة؛ تشويقا للمتلقِّي، و إيحاءً بأهمية هذين العنصرين الإشاريين في النص، فمن الذي تلقى؟ وماذا تلقى؟ كما عمد الكوني إلى استخدام ظرف الزمان (عندما) الذي يشي بإهمال زمن التلقي وتعميمه، جرّاء الحضور الطاغي للعنصرين: المتَلقِّي والمُتَلَقَّى في نفس الكاتب، بيد أنه أفصح عن جهة التلقي: (زعيم قبائل آهْجَارْ)[٤] ؛لما له من دلالة سموٍّ وفخار في ثقافة المجتمع الطوارقيّ؛ مما يصب في صالح العنصرين: المتَلقِّي والمُتَلَقَّى. والإحالة في ضمير الغائب المستتر في (تلقى) إحالة بعدية بعيدة المدى تشير إلى (أوخيد)الذي لم يُسَمَّ في هذا المشهد الافتتاحي مطلقا، وقد كرر الكاتب الإحالات البعدية إلى نفس العنصر الإشاري الأول: **(أوخيد)** سبعَ مرات في (له)،(يفاخر)، (أقرانه)، (يتلذذ)، (نفسه)، (يجيب)، و (نفسه). وكلها تحيل بعديا إلى (أوخيد) الذي سيصرح باسمه بعد صفحة ونصف من هذا المشهد الافتتاحي التشويقي. والإحالة في نحو النص (كما نعلم) لا تنقاد لحدود الجملة، فهي عابرة للحدود كما يصفها علماء النص[٥]. أما العنصر الإشاريالثاني: **(الأبلق)**، فقد أحال عليه بعديا أيضا بالضمير المتصل الواقع مفعولا في (تلقاه)، ومرجعه هو (مهرا صغيرا) خبر (يزال) المذكور بعده، ثم عاود الإحالة البعدية بالضمير المنفصل الواقع مبتدأً في صدر جملة الحال: (وهو لا يزال ...)، ثم أحال عليه قبليا بالضمير المتصل المجرور (به) العائد على (مهرا صغيرا)، فتلك ثلاث إحالات. ولعله من الملاحظ أن (مهرا صغيرا) تشكل هي الأخرى مرجِعا مشوَّشا بادئ الأمر؛ إذ تصدق أن تكون صفة لفرس[٦] (وهو الأصل والأشهر) أو حمارٍ أهليٍّ أو جملٍ ونحوهما[٧]؛ فلا تملأ الحلقة المفقودة من الدلالة في ذهن المتلقِّي

---

٣ ينظر: (نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا) ص١١٦.
٢ ينظر: المرجع السابق، ص١٣٥،١٣٤.
٣(التبر) ص٧.
٤قبائل عريقة ذات مكانة سامية عند الطوارق، تستوطن جنوب شرق الجزائر. (التبر) ص٧.
٥ينظر: (نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نص) ص١١٨.
٣ ينظر: (القاموس المحيط) ص٤٧٨.
٧ ينظر: (معجم اللغة العربية المعاصرة) ج٣/٢١٣٣.

حتى يجلِّيَها تصريح الكاتب آخر المشهد بقوله: (مَهْريّا) إذ تعين أن يكون جملا من سلالة نبيلة؛ إذ اللفظة نصٌّ في وصف الجمل المنسوب لمَهرةَ بن حَيدان: حي من أحياء اليمن[١]. مما يمكن أن أطلق على هذا النمط الإحالي: (التدرج في الإفصاح بالمرجع) وفائدته التشويق والإخطار بأهمية المرجع لدى المنتِج للنص تبعا للدور المنوط به في النص. و جملة (تلقَّاه) (بما تحمل من عناصر إشارية) هي بؤرة النص، وثَيْمه[٢] الذي تنفجر منه أحداثه وتتولّد مقاطعه، وتنبني عليه، فهي إذن باصطلاح التوليديين الجملة التوليدية[٣] للنص.

إضافة إلى ما سبق نسجل إحالة مقامية لضمير المخاطب الجمعي في قوله:(أحدكم) حيث أحال إلى جماعة متخيَّلةٍ جرَّدها[٤] (أوخيّد) من ذاته وأخذ يجادلها في قيمة (أبلقه) في حالة من الوجد لديه.

- **أوخيد:** (تلقّى، له، يفاخر، أقرانه، يتلذذ، نفسه، يجيب، نفسه).
- **الأبلق:** (تلقاه، هو، به).
- **المقام الخارجي:** (أحدكم).

* مجموع الإحالات في هذا المقطع إحدى عشرةَ إحالةً، توزعت ما بين **(أوخيد)** (سبع إحالات) و**(الأبلق)** (ثلاث إحالات)، و واحدة فقط جاءت خارج المقام لضمير جماعة المخاطبين. ولقد أسهمت الإحالات النصية في خلق نص متماسك شكليا، بينما أمدتنا الإحالة المقامية اليتيمة (أحدكم) بإشارة لمقام النص والجو العام لمسرح الحدث، سيما أنها مسبوقة قبْلُ بإشارة لزمن الحوار وصورة المكان: (في الأمسيات المقمرة). كما أن نسبة توزيع هذه الإحالات على العناصر الثلاثة : (أوخيد، الأبلق، ضمير جماعة المخاطبين) تعطي فكرة أولية عن العناصر الفاعلة في النص، وتَوزُّعِ الإحالات وفق **السلمية الإحالية**.

مقطع٢: "هل سبق لأحدكم أن رأى مَهْريا في رشاقته وخفته وتناسق قوامه؟. لا. هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا ينافسه في الكبرياء والشجاعة والوفاء؟. هل سبق لأحدكم أن رأى غزالا في صورة مَهْري؟ لا. هل رأيتم أجملَ وأنبلَ؟ لا لا لا. اعترفوا أنكم لم تروه ولن تروه"[٥].

في هذا المقطع يستمر (أوخيّد)، في المونولوج[٦] مفاخرا بـ(أبلقه)، حيث أجرى ثماني عشْرةَ إحالة عاد أغلبها على (**المقام الخارجي للنص**)، تنوعت بين ضمير جماعة المخاطبين: (أنتم) في: (أحدكم: ثلاث مرات، رأيتم،أنكم، تروا: مرتين، اعترفوا)، وضمير الغيبة (هو) في (رأى: ثلاث مرات) فكان مجموع الإحالات المقامية إحدَى عشْرة إحالةً، بينما فسّر العنصر الإحالي الثاني في هذا المقطع (**الأبلق**)الإحالاتِ السبعَ الباقيةَ، وكلها إحالات نصية قبليّة عبر الضمير المتصل، تعود على (مَهريّا) الوارد في أول المقطع: (رشاقته، خفته، تناسقه، قوامه، ينافسه، ثم الضمير المتصل في محل نصب: لم تروه، لن تروه).

١ينظر: (القاموس المحيط) ص٤٧٨.

٢الثَّيم theme: الكلمة التي تكون محور الكلام في جملة أو نص ما. (معجم المصطلحات الألسنية) ص٢٨٨.

٣الجملة التوليدية: جملة تحملفيداخلهاطاقةدلاليةكبيرة،وتتطلبتوليدمجموعات منالجملللتأديةالمعانيالتييداخلها،وهيالجملةالتيتحملفكرةأساسيةأو أفكارافرعية في النص. ينظر: (نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا) ص٢٨.

٤التجريد: أن ينتزع الإنسان من نفسه شخصا يخاطبه. ينظر: (معجم اللغة العربية المعاصرة) ج١/ص٣٦٠.

٥ (التبر) ص٧.

٦المنولوج: حديث طويل يحتكر فيه الشخص الكلام. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣/٢١٤١.

- **(جماعة مخاطبين)** (تدرك من المقام): (أحدكم×٣، رأيتم، إنكم، تروا×٢، اعترفوا، رَأَى×٣).
- **الأبلق:** (رشاقته، خفته، تناسقه، قوامه، ينافسه، لم تروه، لن تروه).

* الملاحظ هنا هو سيطرة ضمير الشخوص المجرّدَةِ (أنتم، هو) على الحوار بحضورها الطاغي، حيث أحال عليها إحدَى عشْرة إحالة؛ مستغرِقا باستحضارها جدالاتِهم في قيمة **(الأبلق)**: في رشاقته، خفته، تناسق قوامه، كبريائه، شجاعته، وفائه، جماله، نبله، انفراده بالكمال. غير أن هذه الإحالات كلها مقامية؛ إذ لا نظفر بوصف أو اسم لهؤلاء المجادلين في الملفوظ، لعل الكاتب قد تجاهل اسمَها و وصْفَها، و وضَعَه خارج بؤرة الحدث إمعانا في دونيَّةِ مَنْ تَعُودُ عليهم، وعدم أهمية معرفتهم، وقلة خبرتهم بقيَم الأشياء الجميلة كـ**(الأبلق)**! بينما كانت الإحالات للعنصر الثاني **(الأبلق)** كلها نصية. حيث ساهم هذا التنويع في الإحالة بين النصية والمقامية في تماسك النص على الصعيد الشكليّ، ومدِّ جسور الاتصال بين النص والبيئة التي ولد فيها عبر الإحالات المقامية.

مقطع٣: "يحق لي اليوم أن أتباهى بمرافقتك. الأبلق مهري فريد في الصحراء. ثم غمز بعينه المخفية في الكتان الأزرق. الملاحظة أزعجت أوخيد . لأنه لم ير صدقا في عيني رفيقه"[١].

يمثل هذا المقطع مشهدا أخيرا من عُمْر السعادة الأبتر الذي عاشه **(أوخيد)** مزهوّا بـ(أبلقه)، بعده ستبدأ نقطة التحول إلى رحلة العناء الأبديّ. وقد سجَّل هذا المقطع تسع إحالات توزعت بين عنصرين إشاريين: **(شاب معمّمٌ من الأتباع)**، و **(أوخيَد).** وكانت أغلب الإحالات نصية قبلية، وهي أكثر أنواع الإحالات ورودا في النصوص. حيث أحال بضمير المتكلم المجرور (لي) مقاميا على ذات: (الشاب المعمم) ثم أعاد الإحالة المقامية بواسطة الضمير المستتر في (أتباهى)، ثم أحال على إحالة مقامية أيضا على (أوخيد) بضمير الخطاب المجرور في (مرافقتك)،ثم أحال إحالة نصية قبلية بالضمير المستتر: (هو) في (غَمَزَ) على (الشاب المعمم)، ثم بالضمير الواقع مضافا مجرورا في (بعينه) على (الشاب المعمم) أيضا، ثم أجرى إحالة نصية على **(الملاحظة)** بضمير الغيبة المستتر (هي) الواقع فاعلا في (أزعجت)، ثم أحال على (أوخيد) بالضمير المتصل اسما لـ (إنّ) في (لأنه)، ثم ختم بإحالة نصية على **(أوخيّد)** بالضمير المضاف في (رفيقه).

- **شاب معمم من الأتباع**: (لي، أتباهى، غمز، بعينه).
- **أوخيّد:** (بمرافقتك، لأنه، ير، رفيقه).
- **الملاحظة:** (أزعجت).

* الملاحظ أنّ أغلب الإحالات جاءت نصية قبلية، وكانت إحالات بعيدة المدى، عدا إحالتين : الأولى ربطت جملة الخبر بالمبتدأ : (الملاحظة أزعجت)، والثانية ربطت جملة : (لأنه لم ير صدقا في عين رفيقه) بالجملة التي قبلها: (الملاحظة أزعجت أوخيد) ربطا سببيّا[٢]. وقد ساهمت الإحالات القبلية في ربط سابق النص بلاحقه، حيث عاد أغلبها على ذات مرّ ذكرها في موضع سابق **(شاب معمم من الأتباع)** تمهيدا من الكاتب لتوظيفها في هذا المشهد. أما الإحالات المقامية الثلاثة: (لي، أتباهى، بمرافقتك) فقد أدت الانسجام المفهومي من خلال ربط حركة الأحداث بالشخوص الفاعلة في النص.

١(التبر) ص١٠.

٢الربط السببي: علاقة منطقية بين جملتين على أساس السبب والنتيجة. ينظر: لسانيات النص (نسيج النص: مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص٢٣.

ثانيا: الإحالة الإشارية

مقطع١: "ما هذا يا ربي! كيف لم تقولوا لي أن ضيفنا النبيل يملك مهريا بهذا الكمال. مهري أبلق رشيق مثل الغزال!؟"[١].

أجرى الكاتب هنا إحالتين بواسطة اسم الإشارة (هذا)، حيث أفاد في الأولى إحالة خارج النص يفسرها مشهد حضور المهري أمام ناظري شيخ القبيلة الحكيم الذي صاح متعجبا: **"ما هذا يا ربي!"** فأدى اسم الإشارة وظيفة وصْل النص بمقامه الخارجي ومسرح أحداثه. أما الإحالة الثانية فبعدية داخلية قريبة المدى، حيث أحال اسم الإشارة في **"بهذا الكمال"** إلى البدل: "الكمال"، فأدت الإحالة الربط على مستوى الجملة داخل النص.

مقطع٢:"و هذا أكثر ما أضحك عليه أقرانه"[٢].

وقع اسم الإشارة هنا صدرَ جملة استئنافية، وقد أشار إلى متوالية من الجمل وردت قبله:

"أكثر ما يثير سخرية الأهالي في النجع أن المهري الصغير يتجول معه بين المضارب. ويقتفي أثره كالكلب. يهرول وراءه حتى عندما يذهب للسهر في ليالي السمر في العراء، ولا ينام إلا عندما يهجع هو للنوم. يرافقه حتى عندما يسرح في الخلاء كي يقضي حاجته". فنشّطَ بذلك قدْرا كبيرا من المعلومات السالف ذكرها و وحفّز ذاكرة التلقي على استحضارها، فيما يعرف بـ"الإحالة الموسّعة"[٣] التي يمتاز بها اسم الإشارة المفرد.

مقطع٣:"أما هنا فإن العفاريت تموت عطشاً. ويبقى المدى في الخلاء والمدى في القلب"[٤].

يحيل اسم الإشارة قبليا إلى (صحراء الحمادة الغربية)، وقد وردت في مكان بعيد من النص، حيث سرد الكاتب أحوال حياة الواحة وكيف أنها تعج بالعفاريت، ثم عاد و استحضر الصحراء بواسطة اسم الإشارة (هنا) في مقارنة بينها وبين حياة الواحة، فربط بذلك عوالم النص بعضها ببعض، وحقق نسيجا نصيا متداخلا ومتماسكا.

مقطع٤: "آسيار لا ينبت إلا في تلك السهول. أوثقِ المهريَّ جيدا حتى لا يفر، واتركه يرتع يوما أو يومين وسوف ترى"[٥].

يحيل اسم الإشارة (تلك) قبليا إلى مذكور سابق (سهول قرعات ميمون)، وقد أشار إليها هنا بـ(ال) العهد الذكري، فربطت الإحالة القبلية عبر اسم الإشارة سابق النص بلاحقه، وحققت الإحالة ترابطا نصيا قويا.

١(التبر) ص١٥.
٢(التبر)، ص٢٠.
٣الإحالة الموسعة هي أن يكون العنصر الإشاري ليس مفردا بل متوالية من الجمل أو ربما نصا بأسره، ويمتاز اسم الإشارة المفرد بالاضطلاع بهذا الدور. ينظر: (لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص١٩.
٤(التبر) ص١٢٦.
٥ (التبر) ص٢١.

مقطع٥:"العبيدالجبناء يتحاشون المرور بالسلسلة، يظن هؤلاء البلهاء أن الجن أشر من البشر. هو لم ير حتى الآن أشر من الإنس"[١].

يحيل اسم الإشارة (هؤلاء) إحالة قبلية قريبة إلى البلهاء: عبيد (دودو) الذين ملأوا الصحراء طلبا لرأس (أوخيد) في حين يحاذرون الجنَّ، وقد أدت الإحالة الربط النصي على مستوى الجملة.

مقطع٦: "فهل رأى القدر الجليل في ومضة تلك الغمضة"؟[٢]

يحيل اسم الإشارة (تلك) إحالة قبلية بعيدة إلى لحظة سقوط (أوخيد) في البئر التي سبق سرد تفاصيلها. فأدت الإحالة باسم الإشارة إلى ربط أحداث سابقة في النص وحفزت ذاكرة القارئ لاستحضارها.

ثالثا: الإحالة الموصولية:

مقطع١: "ويدس رأسه في لحاف صديقه النائم. صديقُه الذي يعاني الأرق ويحاول أن يختطف إغفاءة قبل أن يضرب الفجر الأفق بالنور"[٣].

يحيل الاسم الموصول (الذي) إحالة قبلية إلى (صديقه) الثانية الواقعة مبتدأ والمشتملة على ضمير يحيل بدوره قبليا إلى ذات (أوخيد)، فأدى تعانق الإحالات و تتابعها وعودها على مفسِّر واحد (أوخيد) أدى ذلك إلى اتساق وترابط على مستوى النص، و سلط الضوء على شخصية البطل على المستوى الفني.

مقطع٢: "خليط من اللين والقساوة، الرحمة والانتقام، الحكمة والكبرياء ..الصبر.. صبر الخالدين الذين ألفوا غدر الزمان ووحشة الوجود"[٤].

يحيل الاسم الموصول الجمعي (الذين) إحالة قبلية (الخالدين) الذي يحيل بواسطة (ال) إلى (النُّصُب الوثني للآلهة تانيت) الذي زاره (أوخيد) في رحلة طلب شفاء (الأبلق) الشاقة، وبالتالي فالإحالة هنا مزدوجة تعود لمرجع واحد. وهو أسلوب يؤدي الاتساق النصي، إضافة إلى وظيفة فنية تتمثل في تسليط الضوء على ذلك المرجع المهم لدى الكاتب.

مقطع٣:"الأحجار التي تعودت أن تتلقى التوسلات أمدا طويلا تكتسب هذه الملامح فقط"[٥].

في هذا المقطع يحيل الاسم الموصول (التي) إحالة قبلية بعيدة المدى إلى (نُصُب الآلهة تانيت)، وقد مر في مقاطع سابقة، وأشار إليه هنا عبر (ال) العهد الذكري، فأدت هذه الإحالة الربط على المستوى النصي وساهمت في عملية الاتساق.

مقطع٤:"تعود عليها وألفها كل من حط برحاله بجوار الجبل أو عبر الوديان السفلية في الأمسيات"[٦].

يحيل الموصول في هذا المقطع أيضا إلى المقام الخارجي، حيث يحيل إلى كل أولئك العابرين الذين اعتادوا وألفوا همهمات الجن في (جبل الحساونة) حين يحلون بها في الأمسيات. وبذلك أدت هذه الإحالة (الربط الرأسي) و وطَّدت الصلة بين النص ومقامه الخارجي

---

١ (التبر)، ص١٥١.
٢ (التبر) ص٥٥ .
٣ (التبر) ص٢٦.
٤(التبر) ص٣٠.
٥(التبر) ص٢١.
٦(التبر) ص١٥١.

مقطع٥: "كلُّ ما حدث بسبب الحسد. الحسد أقوى من السم في تعاليم العرافين"[١].

في هذا المقطع يحيل الاسم الموصول (ما) إحالة موسعة تمتد من بداية النص وتستغرق أغلب أحداثه بدءاً من ضبط (أوخيد) في مضارب قبيلة عشيقته وإصابة (الأبلق) بالجرب جراء تلك المغامرة، ومرورا بفضيحة حلقة الرقص حيث جُنَّ (الأبلقُ) وانتهاء برحلة البحث عن الشفاء بكل تفاصيلها الطويلة المؤلمة. وبهذا تكون هذه الإحالة قد أدت ربطا نصيا فاعلا، وحفّزت حشدا مهما من المعلومات السابقة في ذاكرة المتلقي.

ملاحظات وإحصاءات:

بعد الدراسة التطبيقية على المقاطع النصية السابقة، والتمثيل لعناصر الإحالة في النص ككل (ضمائر، أسماء إشارة، أسماء موصولة)، أدوّن هنا بعض الملاحظات والاستنتاجات حول كيفية توظيف **"الكَوني"** لعناصر الإحالة في السبك النصي، وفي تحقيق الوحدة الموضوعية للقضية التي تعالجها **(رواية التبر)**، وذلك من خلال نسبة تدفّق العناصر الإحالية على العناصر الإشارية في النص كلٍّ حسب قوة حضوره والدور الذي يؤديه في تكوين النص.

١. مثّلت الجملة الأولى في النص (تلقّاه) النواةَ التي تولّد منها النص، إذ كانت معظم الإحالات تعود على عنصريها (أوخيد، الأبلق)؛ إذ بهما ناط الكاتب قيادة الصراع: صراع الإنسان مع مَن حوله من أجل الحرية ودفع الخطيئة التي تربَّصُ به؛ لذلك فقد استأثر هذان العنصران بمعظم الإحالات الواردة في النص؛ كونهما يحملان وحدة الموضوع الذي يعالجه النص: **الحرية والخطيئة**. وقد تلت بعض العناصر الفرعية الأخرى هذين العنصرين، مثل العنصر **(دودو):** غريم **(أوخيد)** وسارق زوجته **(أيور)**، وقتيله في نهاية النص. والعنصر **(الشيخ موسى):** الزاهد الحكيم رفيق قبيلة **(أوخيد)** الذي تربى على يديه. وغيرهم. وقد سمّى **"الزنّاد"** هذه التراتبية بـ**(السلّميّة الإحالية)**؛ فالعنصر الأهم يجذب أكبر عدد من الضمائر ثم الذي يليه وهكذا. ومعنى كونه يجذبها أنها تحيل على شخصه، أو فعله أو صفته أو متعلّق به.

٢. الضمائر هي أكثر عناصر الإحالة وروداً في النص؛ وهذا ينطبق على كل النصوص بكافة أشكالها و باختلاف المواضيع التي تعالجها؛ وذلك راجع لما يتميز به الضمير من اقتصار في اللفظ، وتنوع في التركيب، فقد يجيء منفصلا ومتصلا، ومستترا. وقد أجرى الكاتب (٦٦١٩) بالضمير من مجموع (٧٢٤١) أي ما يعادل (٩١.٥%) من جملة الإحالات. بينما حل اسم الإشارة ثانيا في تشكيل البنية الإحالية للنص بـ (٤٠٢) بنسبة (٥.٤%). في حين كانت الأسماء الموصولة أقل وروداً بـ(٢٢٠) بنسبة (٣.٤%).

٣. الضمير المستتر كان الأكثر وروداً في النص؛ وذلك لطغيان الفعل في الأسلوب الأدبي، كما هو معلوم وفقا لمعادلة (أ. بوزيمان A. Busemann)[٢]. فقد ورد الضمير المستتر في النص

---

١ (التبر) ص٣٧

٢ سميت هذه المعادلة نسبة إلى العالم الألماني (أ. بوزيمان A. Busemann)، وكان أول من اقترح هذه المعادلة وطبقها على نصوص من الأدب الألماني في دراسات نشرت عام (١٩٢٥م)، وقوامها أن كلما كانت نسبة الأفعال في النص أعلى من نسبة الصفات كان النص أيمل إلى الأسلوب الأدبي أو إلى لغة طفولية أو غيرها من أساليب يراد منها التأثيرَ في المتلقي. وتعرف في الإنجليزية بـ (var) كاختصار لـ(Verb-Adjective Ratio). وقد اختصرها د. سعد مصلوح بـ(نفص) أي: نسبة الفعل لصفة. ينظر: (الأسلوب الأدبي، دراسة لغوية إحصائية) د. سعد مصلوح. عالم الكتاب (القاهرة)،ط١٩٩٢/٣م، ص٧٣.و (المقالة النسائية السعودية) أطروحة دكتوراه من إعداد: أمينة بنت عبد الرحمن الجبرين.

(٣٣٥٢) من مجموع (٦٦١٩)، أي ما نسبته (٥٠.٦%). ثم ولِيَه المتَّصل بـ(٣٠١٣)، أي بنسبة (٤٥.٥%)، وأخيرا حلَّ المنفصل بـ(٢٥٤)، أي بنسبة (٣.٨%).

٤. السُّلَّميَّة الإحالية كانت حاضرة في النص وقد استحوذ البطلان: **أوخيد والأبلق** على نسبة عالية من العناصر الإحالية من ضمائر وأسماء إشارة وأسماء موصولة، فقد عادت على شخصيْهما أو على أحداث صنعاها أو على أشياء وصفات متعلقة بهما. فقد أحال عليهما الكاتب (٣٨٨٢) مرة من مجموع (٧٢٤١) إحالة، أي بنسبة (٥٣.٦%)، وهذه نسبة عالية جدا بالنظر إلى كمّ العناصر الأخرى المنثورة على امتداد النص الفاعلة منها وغير الفاعلة.

٥. ضمائر الغياب كانت الأكثر ورودا في النص؛ وذلك ما يقتضيه أسلوب السّرد.
٦. الإحالة المقامية تحقق الانسجام وليس الاتساق، أي تحقق الربط على مستوى رأسي: النص بالمحيط والشخوص والأمكنة. وقد وظّفها الكاتب في حواريات الشخوص حين يكون الأسلوب أسلوبَ خطاب، كما أجريت إحالات مقامية على حقائق و أشياء خارج النص هي من قبيل المسلّمات والمستقرّات في ذهن الجماعة اللغوية كحواء أم البشر، وجنة الخلد، وخطيئة آدم الأولى وغيرها. لكن ظل ورود هذه الإحالة قليلا في النص مقارنة بالإحالة النصية.
٧. الإحالة البعدية كانت أقل ورودا في النص من الإحالة القبلية، وقد استخدمها الكاتب على مستوى الجملة الواحد وأحيانا على مستوى المقطع، فهي (كما يقول النَّصِّيُّون) سلاح ذو حدين إذا تباعد العنصر المفسّر انقلبت أداةَ بعثرة و تشويش لا أداةَ ربط واتساق. وكانت عناصرها غالبا ما تحيل على (**الأبلق** و **أوخيد** أو **دودو وعبيده**) كعناصر متأخرة؛ للتشويق ولفت الانتباه للعنصر الإشاري وأهميته.
٨. أغلب الإحالات التي أداها اسم الإشارة المفرد (ذلك هذا) هي إحالات موسعة يفسرها مضمون نصي سابق. عكس الضمائر الشخصية، والأسماء الموصولة؛ وذلك لما يمتاز به هذا الاسم من إمكانية صدق إشارته على مقطع أو عدة مقاطع أو مسرود نصي كامل.

إشراف: د. صالح زيّاد الغامدي. جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. العام الجامعي (٢٠٠٨،٢٠٠٩م). ص٦٠-٦٣.

خاتمة

- الإحالةالتي تؤدي إلى سبْكِ النَّصّ ِلغويّا ًهي الإحالة المقاليَّة أمَّا الإحالة المقاميَّة فهي تقوم بربط النَّصِّ بالسياق الذي قيل فيه زيادة ًعلى تفسيرها المُبهمات (العناصرالإحالية)عنطريقتعريفها بالعناصرالإشارية التي تحيل عليها.
- الإحالة وسيلة من وسائل الاختصار وتجنب التكرار، فهي تحقق خاصية الاقتصاد في اللغة.
- تسمح الإحالة لمستخدمي اللغة بحفظ المحتوى مستمرا في الذاكرة دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى، ومن ثم تحقق مبدأ الاستمرارية .
- أغلب إحالات أسماء الإشارة والأسماء الموصولة في الرواية كانت تعود إلى أحداث قام بها البطلان: (أوخيد، الأبلق) أو إلى أماكنَ حلَّا بها ونسجا فيها خيوط حكايتهما، أو على ذاتَيْها أحيانا، في حين عادت بعض الإحالات إلى شخوص ولاعبين فرعيين في النص حين يغفو صوت الأبطال.
- تمثّل رواية التبر نصا واحدا تدور أحداثه حول (صراع الإنسان مع متناقضة الحرية والخطيئة) تزّعم هذا الصراع في الرواية بطلان (أوخيد والأبلق)، وقد نجح الكاتب في تحقيق الاتساق النصي للنص، وكان من أهم الوسائل التي وظفها لذلك الإحالةُ بعناصرها الثلاثة: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.
- بعد عرض أهم نتائج دراستي لا يسعني إلا أن أشير إلى أن هذا الموضوع يمكن التوسّعُ فيه أكثر، فهذه الدراسة ما هي إلا قليل من كثير في تلك الدراسات النصية التي باتت تشهد تطورا مستمرا ومتسارعا. وأتمنى من خلال موضوع هذه الدراسة **(الإحالة ودورها في التماسك النصي في رواية التبر لإبراهيم الكوني)** أن أكون قد وفِّقتُ في إبراز ما للإحالة من دور مهم وفعّال في تحقيق التماسك النصي.

قائمة المصادر والمراجع

أولا الكتب

- (الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر)، د. محمد حماسة عبد اللطيف. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ط١/ ٢٠٠١م.
- (الأسلوب الأدبي، دراسة لغوية إحصائية) د. سعد مصلوح. عالم الكتاب (القاهرة)،ط١٩٩٢/٣م
- (بلاغة الخطاب وعلم النص)، د. صلاح فضل. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، ط١٩٩٢/١م.
- "التبر"، إبراهيم الكَوني. دار التنوير للطباعة والنشر (بيروت)، ط١٩٩٢/٣م.
- (تحليل الخطاب)، ج. ب. براون. ج. يول. ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي، د. منير التريكي. جامعة الملك محمد بن سعود (الرياض)، ط١٩٩٧/١م.
- (الخصائص) لأبي الفتح: عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ). تحقيق: محمد على النجار. دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، ط١٩٩٠/٤م.
- (دليل المؤلفين العرب الليبيين) وزارة الثقافة والإعلام (ليبيا. دار الكتب الوطنية (بنغازي-ليبيا)، ط١٩٧٧/١م.
- عصر البنيوية) إديث كريزويل. ترجمة: جابر عصفور. دار الصباح (الكويت)، ط١٩٩٣/١م
- (علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات)، د. سعيد حسن بحيري. الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان (القاهرة)، ط١٩٩٧/١م.
- (لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي. المركز الثقافي العربي (بيروت). ط١٩٩١/١م.
- (معجم الغني)، د. عبد الغني أبو العزم. نسخة إلكترونية من إعداد وتنسيق: أ. فوّاز الزكارنة. مارس/ ٢٠١٣م.
- (معجم اللغة العربية المعاصرة) أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل)، عالم الكتاب (القاهرة)، ط٢٠٠٨/١م.
- (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة) د. سعيد علّوش. دار الكتاب اللبناني (بيروت)، شوسبريس (الدار البيضاء). ط١٩٨٥/١.
- (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية القاهري. دار الشروق الدولية (القاهرة)، ط٢٠٠٤/٤م،ص٥٨٧.
- (نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي). د. أحمد عفيفي. مكتبة زهراء الشرق (القاهرة)، ط١|٢٠٠١م.
- (النص والخطاب والإجراء)، روبرت دي بوجراند. ترجمة: د. تمام حسان. عالم الكتب(القاهرة)، ط/ ٢٠٠٧م،

ثانيا: الرسائل الجامعية

- (بناء الشخصيات في روايات إبراهيم الكوني: رباعية الخسوف، التبر، نزيف الحجر، المجوس، أنموذجا) (رسالة ماجستير) إعداد: عبد الله صالح زبيدة، جامعة الفاتح، كلية الآداب (طرابلس، ليبيا)، العام الجامعي ٢٠٠٢،٢٠٠١م.
- (المقالة النسائية السعودية) أطروحة دكتوراه من إعداد: أمينة بنت عبد الرحمن الجبرين. إشراف: د. صالح زيّاد الغامدي. جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. العام الجامعي (٢٠٠٩،٢٠٠٨م).

ثالثا: المجلات والدوريات ومنشورات الشبكة الدولية

- (إبراهيم الكوني: تكريم الغرب، وتجاهل العرب): (برنامج زيارة خاصة، قناة الجزيرة الفضائية، تاريخ الحلقة ٢٧/٦،٢٠٠٩م) http://www.aljazeera.net.
- (الإحالة في نحو النص) د. أحمد عفيفي. منشورات كتب عربية على الشبكة الدولية: www.kotobarabia.com.
- (أدب الكون في عيون الليبيين): حوار أجراه موقع الجزيرة الإلكتروني حول أدب الكوني بتاريخ (2010/12/27) aljazeera.net/news/cultureandart
- (التبر لإبراهيم الكوني: الوهق والدمية والوهم ... أم المهري الأبلق؟:) د. ميسلون هادي،: دراسة ضمن كتاب الرافد: (يصدر مجانا مع مجلة الرافد التي تصدرها دائر الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة) العدد ٤٧، يونيو/٢٠١٣.
- (دليل المؤلفين الليبيين) موقع دار الكتب الوطنية (بنغازي- ليبيا) على الشبكة الدولية، صفحة إبراهيم الكوني. http://www.nll.org.ly
- (المنجز الأدبي الكبير عند إبراهيم الكوني (مقال)، د. عمارة لخّوص. منابر ثقافية: (ملتقى المثقفين العرب) www.mnaabr.com
- (نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية، دراسة تأصيلية تداولية). نشر: مجلة علوم إنسانية (الجزائر)، عدد٤٢، يونيو/٢٠٠٩م، السنة السابعة.